الخط العربي وتطوره

دكتور سليم طارق*

الخط والكتابة عند ابن خلدون من عداد الصنائع الإنسانية. وهو رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس[1]. فالكتابة والقراءة من مظاهر العمران والتمدن فإذا كثر العمران احتاجت الأمم إلى الكتابة. وأسبق الأمم إلى التمدن والعمران، المصريون والفينيقيون.

وكان المصريون القدماء قد اعتمدوا الكتابة الهيروغليفية (والهير وغليفية كلمة يونانية معناها الكتابة المقدسة المحفورة وهي كتابة تصويريه اعتمدها المصريون القدماء. فك رموزها العالم الفرنسي شامبوليون.)

وقد انبثقت سائر الخطوط السامية والفينيقية من هذا الخط الهيروغليفي.

ومن المعلوم أن العرب لم يعرفوا الكتابة بالخط العربي الذي يستعمل اليوم إلا قبل الإسلام بقرن واحد. وقد بذل العلماء والباحثون أقصى جهدهم لمعرفة بداية تاريخ الخط العربي بيد أن معظم الدراسات في هذا الشأن تعتمد على الأساطير الشائعة بين العرب قبل الإسلام. وأهم ما توصل إليه بعض الباحثين هو أن سيدنا آدم[2] عليه السلام كان أول من وضع الخط العربي بينما يرى الآخرون أن الخط العربي أنزل على سيدنا هود عليه السلام[3].

---

* الأستاذ المساعد / قسم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية ببهاولبور

ويؤيد ابن فارس والإمام السيوطي هذه النظرية الأسطورية حيث قالا بأن "الخط توقيفي" مستدلين بقوله تعالى: ﴿ الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم * ﴾ وبقوله تعالى: ﴿ ن * والقلم وما يسطرون ﴾[٤]

ولكن ابن خلدون يخالف هذه النظرية ورأيه: أن الخط العربي قد اقتطع من الخط المسند الحميري والتبابعة يستعملون الخط المسند في جنوب العرب قبل الإسلام، ويعرف هذا بالخط الجزم لانفصال حروفه، وانتقل هذا الخط الحميري في عصر دولة التبابعة إلى الحيرة ومن الحيرة تلقاه أهل مكة والطائف[٥]

والنظرية الثالثة مبنية على رواية ذكرها البلاذري أنه اجتمع ثلاثة نفر من طئ ببقة وهم مرامر بن مرة وأسلم بن سدرة وعامر بن جدرة فوضعوا الخط فقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية فتعلمه منهم قوم من أهل الأنبار ثم علّم أهل الحيرة من أهل الأنبار. وكان بشر بن عبد الملك أخو أكيدر بن عبد الملك بن عبدالجن الكندي ثم السكوني صاحب دومة الجندل يأتي ويقيم بها الحين فكان نصرانيا فتعلم بشر الخط العربي من أهل الحيرة ثم أتى مكة في بعض شأنه فرآه سفيان بن أمية ابن عبد الشمس وأبو قيس بن عبد مناف ابن زهرة بن كلاب يكتب فسألاه أن يعلمهما الخط وعلمهما الهجاء ثم أراهما الخط فكتبا ثم إن بشرا وسفيان وأبو قيس أتوا الطائف في تجارة وصحبهم غيلان بن سلمة الثقفي فتعلّم الخط منهم وفارقهم بشر ومضى إلى ديار مضر فتعلّم الخط عمرو بن زرارة بن عدس فتسمى عمرو الكاتب. فأتى بشر الشام فتعلّم الخط منه ناس هناك وتعلّم الخط من ثلاثة لطائيين أيضا رجلا من طابخة كلب فعلمه رجلا من أهل الوادي القرى فأتى الوادي فيتردد فأقام بها وعلم الخط قوما من أهلها[٦].

والنظرية الرابعة: إن الخط العربي ـ عند أكثر الباحثين المستشرقين والعرب ـ ولا سيما الخط الكوفي قد اقتطع من الخط السرياني الأسطر نجيلي[٧] ويقولون: إن القريش لم تكن تعرف الخط المسند بل كانوا يكتبون بالخط الجزم ويسمونه بالخط الجزم لأنه جزم عن الخط الاسطرنجيلى الشاعر الكندي من أهل دومة الجندل ويمنّ على قريش فيقول:

لا تجحدوا نعماء بشر عليكم
فقد كان ميمون النقيبة أزهرا
أتاكم بخط الجزم حتى حفظتم
من المال ما قدكان شتى مبعثرا
فأجريتم الأقلام عودا وبراة
وضاهيتم كتاب كسرى وقيصرا
وأغنيتم عن مسند الحي حميرا
وكتبت في الصحف أقلام حميرا[٨]

وما زال يعرف هذا الخط بالخط الجزم قبل الإسلام حى اختط المسلمون الكوفة فسمي الخط بالكوفي نسبة إلى هذا البلد.

ولكن صلاح الدين المنجد لا يوافق على هذه النظرية حيث يقول:

" إن الحيرة كانت لا شك مركزا حضاريا ولكن أهل احيرة تدينوا بالنصرانية وهم يكتبون بالسريانية أو ما يقاربها و لم تصل إلينا شيئا من نصوص الخط الحيري والأنبار لنقارن بينها وبين الخط العربي القديم. والدراسات المقارنة بين الخط العربي والخط الحيري دلت على أنها لا علاقة بينهما فهناك اختلاف كبير في شكل الحروف وتركيب الكلمة"[٩].

ورأي هذا الباحث الفاضل يخالف الروايات التاريخية، فهذا شيء معلوم أن أهل الحيرة والأنبار كانوا يستعملون في كتاباتهم العادية خطًا يشبه الخط الذي كان شائعا في العصر الأموي، ورواية حماد الراوية التي نقله السيوطي في المزهر وهو

يقول: " أمر النعمان بن المنذر فنسخت له أشعار العرب في الطنوج وهى الكراديس ثم دفن في قصره الأبيض فلما كان المختار الثقفي، قيل له: إن في القصر كنزا فاحتفره فأخرج تلك الشعار فمن ثم أهل الكوفة أعلم بالشعر من أهل البصرة"[١٠].

فهذا يدل على أن الخط الحيري كان يستعمل في العصر الأموي كما أن الدراسات العلمية الحديثة القائمة على المقارنة بين الأبجديات السامية والاكتشافات للكتابة العصرية رجحت أن الخط العربي القديم مشتق من الخط النبطي الذي كان شائعا في شمال جزيرة العرب وشرقها، فالخط العربي هو آخر شكل من الخط النبطي.

وفيما يلى بعض الدلائل القوية التي تثبت عدم وجود أي علاقة بين الخط العربي والخطين السرياني والحميري:

أولا: إن الحروف السريانية في الكلمة الواحدة تكتب مفصولة بينما تربط الحروف العربية بعضها بالبعض.

ثانيا: إن كثيرا من الحروف العربية لا يوجد لها مثيل في الحروف السريانية.

ثالثا: الحروف العربية القديمة كانت خالية من النقط بينما كانت الحروف السريانية منقوطة.

هناك اختلاف كبير في شكل الحروف وتركيب الكلمات بين الخط العربي والخط المسند وفروعه.

علاوة على ما قلناه آنفا فإن الدراسات الحديثة والبحوث تفيد حتى الآن، بأن الخط العربي وضع قبل الإسلام بقرون عديدة وأن الخط العربي مشتق من الخط النبطي.

وأصح القول أن الخط العربي يعد آخر شكل للخط النبطي، وهذه النظرية

تفند بناء على رواية البلاذري المتقدمة ذكرها والمقارنة بين النقوش " بأم الجمال " النمارة وزبد وحران وغيرها وبين الخط العربى. ولكن المستشرق الشهير بلاشير يخالف هذه النظرية بقوله: " إن هذه الكتابة ـ أى كتابة زبد ـ تختلف جدا عن نقوش النمارة جديرة بتسميتها عربية لأنها تحوي جميع مظاهر الكتابة العادية[١١] "

عدّ المؤرخون أن الأنباط كانت من العرب في العصر الهيلينى أغاروا على البلاد الآرامية في فلسطين وجنوب الشام ثم دخلوا شرق الأردن[١٢].

كانت لهم حضارتان. سلع، وبتراء في الشمال والحجر ومدائن صالح في جنوب. وكانت هذه المنطقة يومئذ عامرة بالأشجار والمياه وفى القرن الرابع قبل المسيح يهيمون على الطرق التجارية[١٣].

والطرق التجارية كانت تمرّ على مكة ويثرب وما زالت القوافل تسلكها بين الشام ومكة ويثرب حتى ظهور الإسلام وهجرة النبي صلى الله عليه وسلم، وتتبعها قوافل الحجاج بين الشام ومكة ولذلك ما زالت عرب الشمال تمرّ دائما على مدائن صالح وبلاد الأنباط. ورحلاتهم وكثرة اختلاطهم بالأنباط جعلتهم متأثرين بحضارتهم وطريقتهم في الكتابة.

فى القرن الأول سيطرت الأنباط على دمشق ولبنان COELESYRIA وكذلك سيطرت على سائر الطرق التجارية بين شمال الجزيرة وجنوبها[١٤] وكانت الأنباط من العرب وهم يتكلمون اللغة العربية، تاثروا بالحضارة الآرامية فأخذوا عنهم الخط الآرامى وطوّروه وظلت غلبة الأنباط ومملكتهم إلى أوائل القرن الثاني بعد الميلاد حيث هزمت تراجن TRAJAN في سنة ١٠٥م وسيطر على بلادهم، ولكن ما زالت الحضارة النبطية قائمة وما زالت قوافل الأنباط التجارية تمرّ على مكة ويثرب في رحلاتهم بين شمال

الجزيرة وجنوبها إلى بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم. كانوا يردون المدينة يجلبون الطعام وكتب بكتابة الأنباط[١٥] العرب الشماليون بعد زوال مملكة بعدّة قرون. كانت الكتابة النبطية مستمرة في التطور حتى انتهى التطور إلى الكتابة العربية الجاهلية. والصورة الأولى للخط العربي الجاهلي لا تبعد كثيرا عن صورة الخط النبطي في أواخر مراحله[١٦].

ميزات الخط النبطي:

إن دراسة الخط النبطي ومقارنته بالخطوط الأخرى تظهر العلاقة التي بينه وبين الخط العربي الجاهلي، حيث أنه قد ظهرت بعض ميزات بعد دراسة الكتابات المكتشفة وأهمها:

(١) تربط حروف الكلمة الواحدة بعضها ببعض إلا الحروف التي تليها كالدال والزاي والواو وغيرها.

(٢) تستعمل أشكال بعض الحروف في أوائل الكلمات تخالف أشكالها إذا جاءت في أخر الكلمة كالهاء والياء.

(٣) الحروف النبطية خالية عن نقط الإعجام.

(٤) تاء التأنيث لا تكتب بالهاء مدورة بل تكتب بالتاء المبسوطة مثل:

أمّة تكتب أمّت

حبّة تكتب حبّت

(٥) الفتحة الممدودة لا ترسم ألفا في الكتابة مثل:

ثلاث تكتب ثلث

ثلاثين تكتب ثلثين

حارثت تكتب حرثت[١٧]

كذلك فإن الدراسة المقارنة بين المصاحف التي كتبت في عهد سيدنا عثمان

وعلى رضي الله تعالى عنهما وفي العصر الأموي تظهر أن سائر الخصائص التي درسنا في الميزات قد انتقلت بعينه إلى الخط العربي القديم.

ويقدم لنا الدكتور صلاح الدين المنجد صاحب كتاب " دراسات في تاريخ الخط العربي " صورا مختلفة للمصاحف القديمة كتبت بالخط المكي، والأموي وعصر خلفاء الرشدين. وبعد ملاحظة نماذج هذه المصاحف نجد أن خصائص الخط النبطي واضحة في الخط العربي القديم:

(١) ورقة من مصحف قديم كتب بالخط المكي ويوجد هذا المصحف الآن بالفاتيكان تحت رقم ١٦٠٥ وهو أقدم المصاحف في العالم فقد كتبت في المصحف الفتحة المشبعة بدون ألف:

كتاب مبين ـ كتب مبين

أذقنا الإنسان ـ أذقنا الإنسن

الصالحات ـ الصلحت[١٨]

(٢) صورة أخرى لمصحف موجودة في المتحف البريطاني ورقمه ٢١٦٦ ـــ OR. ويرجع هذا المصحف إلى أواخر العصر الأموي. وهو مشكول أحيانا وكتبت فيه الفتحة المشبعة أيضا بغير ألف:

في أعناقهم أغلالا ـ في أعنقهم أغلالا

فأغشيناهم ـ فأغشينهم

قالوا ـ قلوا

يا قوم ـ يقوم[١٩]

(٣) في مصحف طشقند الذي ينسب إلى سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه فأثبتت فيه أن الفتحة المشبعة مكتوبة بغير ألف:

الحاكمين ـ الحكمين

يا شعيب ـ يشعيب

كارهين ـ كرهين

تجانا الله ـ نجنا الله[٢٠]

يقول ابن أبي داؤد السجستاني: إن محمد بن عيسى الإصفهاني أجمع كتّاب المصاحف المدنية والكوفية والبصرية وما يكتب بالشام وما يكتب بمدينة السلام و لم يختلف في كتابة من مصاحفهم فكتبوا:

نعمة الله ـ نعمت الله

يرجون رحمة الله .يرجون رحمت الله

الطاغوت ـ الطغوت

امرأة فرعون ـ امرأت فرعون

سنة الأولين ـ سنت الأولين[٢١]

فذكر أبو داؤد جميع الكلمات التي اتفق جميع النساخ على رسمها من سورة الفاتحة إلى سورة ن.

الخط المكي:

لم تصل إلينا نماذج كتابات من العصر الجاهلي لكن يذكر ابن النديم أنه كان في خزانة المأمون الخليفة العباسي كتاب بخط عبد المطلب في جلد من ادم يذكر فيه دينا لعبد المطلب على أحد رجال اليمن.[٢٢] ونجد في تاريخ الأدب العربي أن العرب اختارت بعض قصائد الشعراء الجاهليين ثم علقوها بالكعبة إعجابا بها وإشارة ذكرها وقد بقي بعضها إلى يوم الفتح[٢٣]. قال ابن هشام صاحب السيرة: فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزلوا بلدا أصابوا به أمنا وقرارا وأن النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم وأن عمر قد أسلم فكان هو وحمزة بن عبد المطلب مع رسول الله صلى

الله عليه وسلم وأصحابه وجعل الإسلام يفشوا في القبائل، اجتمعوا وائتمروا أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني عبد المطلب على أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوا شيئا ولا يبتاعوا منهم فلما اجتمعوا لذلك كتبوا في الصحيفة ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك ثم علقوها في جوف الكعبة توكيدا على أنفسهم[٢٤].

ونجد في كتب الحديث والتأريخ أنه كان بمكة رجال ونساء يعرفون الكتابة، ذكر البلاذري في كتابه أنه دخل الإسلام من قريش سبعة عشر رجلا كلهم يكتبون، فمنهم عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعثمان بن عفان وأبو عبيدة بن الجراح وطلحة ويزيد بن ابي سفيان وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وحاطب بن عمرو أخو سهيل بن عمرو العامري وأبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي وأبان بن سعيد بن العاص بن أمية وخالد بن سعيد أخوه وعبدالله بن سعد بن أبي سرح العامري وحويطب بن عبد العزى وأبو سفيان بن حرب بن أمية ومعاوية بن أبي سفيان وجهيم بن الصلت ومن حلفاء قريش العلاء ابن الحضرمي[٢٥].

وكانت تكتب من النساء أما المؤمنين حفصة وأم سلمة، والشفاء بنت عبد الله العدوية وأم كلثوم بنت عقبة وكريمة بنت المقداد[٢٦].

وروى البخاري ومسلم وغيرهما أن ورقة بن نوفل كان يكتب الكتاب العربي والكتاب العبراني، وكان يكتب من الإنجيل بالعربية وأسماء من أهل مكة الذين يعرفون الكتابة بالعربية ليس بقليل مع أن البداوة كانت غالبة على العرب، والحضارة كانت أوسع في مكة من حولها من البدو، ومع ذالك نجد أسماء رجال من القبائل يكتبون بالخط العربي فمنهم شرحبيل بن حسنة من طابخة وحنظلة بن رباح الأسيري من تميم وسمى النبي صلى الله عليه وسلم حنظلة

بحنظلة الكاتب. وذكر البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استكتب رجلا من دئل في كتاب الأمان لسراقة بن جعشم خلال سفر الهجرة[٢٧].

إن الخط العربي المكي هو الخط الذي انتقل من الأنباط من غير تغيير، وابن النديم يسميه بهذا الاسم أي الخط المكي. وهذا من أوّل الخطوط العربية وأن القرآن الكريم كان يكتب في هذا الخط قبل الهجرة ولكن لم نعثر على شيء من نموذجه.

الخط المدني:

بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وقيامه بها استكتب من الناس الوحي فمنهم شرحبيل بن حسنة وجهيم بن الصلت وخالد بن سعيد والعلاء ابن الحضرمي. ومن الأنصار أبي بن كعب وزيد بن ثابت كانا يكتبان الوحي[٢٨].

وقد ذكر صاحب فتوح البلدان أن بعض اليهود كانوا يعلّمون الصبيان الكتابة العربية وكان كثير من الناس من الأوس والخزرج يكتبون العربية. وزيد بن ثابت الأنصارى كان يكتب العربية والعبرانية[٢٩]. وبعض من أهل يثرب يعرف الكتابة العربية والعبرانية والسريانية فتعلّم زيد بن ثابت الأنصاري الكتابة العبرانية والسريانية بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأيضًا كان عبد الله بن عمرو بن العاص يكتب بالعربية والعبرانية[٣٠].

روى الإمام أحمد في مسنده وأبوعبيدة في كتابة الأموال في فداء أسارى بدر أنه كان منهم من فدائه أن يعلّم الغلمان الكتابة وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبادة بن صامت وعبد الله بن سعيد بن العاص أن يعلّما الناس الكتابة[٣١].

إن الخط المكي والخط المدني اسمان لخط واحد وليس بينهما فرق أصلي إلا أن الخط المدني قد يكون أكثر اتقانا من الخط المكي لأنه اجتمع كثير من الكتاب في المدينة وقد كثرت الكتابة فيها وسمي الخط المدنى أيضا بالخط الوراقي والمحقق وهو الخط الذي كتبت فيه الصحف الصديقية والمصاحف العثمانية سماه صلاح الدين المنجد بالخط المدنى الذي كان بالمدينة[٣٢]. وقال القلقشندي: إن هذه المصاحف كتبت بالقلم الطومار أو الجليل المبسوط[٣٣]. ويعد ابن النديم الخط الجليل من أبي الأقلام، ونقل "القلقشندي: قلم الطومار قلم مبسوط كله ليس فيه شيء مستدير... وكثير ما كتبت به مصاحف المدينة[٣٤]

ويعتقد صلاح الدين المنجد أن هذا الخط الذي كتبت فيه المصاحف يشبه آخر مراحل تطور الخط النبطي اليابس ويشبه رسائل النبي صلى الله عليه وسلم ولا نقول أنها كتبت بالخط الكوفي بل بالخط المدني وتدل على ذلك النصوص الموثوق بها التي وصلت إلينا عن رسم القرآن أي رسم المصاحف المرسلة إلى الأمصارن ثم إن الخصائص التي امتازت بها الكتابة النبطية المتطورة قد انتقلت إلى الخط العربي في مكة والمدنية وبالتالي إلى رسم المصاحف[٣٥].

ميزات الخط المكي المدني:

نجد في الخط المكي والمدني سائر خصائص الخط النبطي المتطور في آخر مراحله:

(١) حذف الألف رسما في الفتحة المشبعة في أكثر الكلمات.

(٢) ربط الحروف في الكلمة الواحدة.

(٣) اختلاف شكل بعض الحروف إذا جاءت في ابتداء الكلمة وفي نهايتها.

(٤) عدم إعجام الحروف.

(٥) وابن النديم يشير إلى الميزة الأخرى للخط المكي والمدني ألفاته تعويج إلى يمنة وأعلى الأصابع وشكله انضجاع يسير ويلاحظ خصائص الخط المدني في رسائل النبي صلى الله عليه وسلم التي نشرها الدكتور محمد حميد الله.

الخط الكوفي:

قد افتتحت العراق في زمن أبي بكرالصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما واختطت الكوفة بأمر الخليفة الثاني عمر بن الخطاب سنة ١٧ من الهجرة ولقد كانت الكوفة علىبضع أميال من مدينة الحيرة القديمة عاصمة الملوك المناذرة وقد انتقل بعض الصحابة إلى الكوفة وأقاموا بها. ونقل الصحابة القادمون من المدينة خطهم الذي يكتبون فيه والخط الكوفي هو التحسين الفنى الهندسى لذلك الخط المدني المتطور من الخط العربي القديم. وباقيات الخط السرياني في الحيرة موجودة في جوار الكوفة، فلا شك أن

تقاليد الخط السريانى في

وطبقوها على الحجاز.

الذي ظهر في الكوفة هو وليد الصنعة والفن المقتبس من الحضارة السابقة[٣٦].

ويتساءل صلاح المنجد قائلا:

" هل كان الخط الكوفي وقبله الخط المكي والمدني أم قبلها الخط النبطي العربي المتطور يأبسا فقط"

وأجابه ابن مقلة بقوله: " إن للخط الكوفي طرائق كثيرة ترجع إلى نوعين أساسيين:

(١) الخط اليابس المبسوط الذي ليس فيه شيء مستدير.

(٢) الخط المستدير[٣٧].

نقل القلقشندي أيضا أن الخط الكوفي فيه عدة أقلام مرجعها إلى الأصلين

المتقور والمبسط[٣٨]. فالمتقور هو المعبر عنه الآن باللين كالثلث والرقاع. والمبسوط وهو المعبر الآن باليابس كالمحقق.

قال القلقشندي في موضع آخر في معنى الكوفي اليابس أو المبسوط: هو ما لا انخساف فيه ولا انحطاط. المحقق الكوفي اللين المدور هو الذي تكون عراقاته وما في معناه منحطة إلى الأسفل كالثلث والرقاع[٣٩].

الخط النسخي:

وصل الباحثون إلى نتائج دراساتهم المقارنة للخط العربي والنبطي أن بعض الحروف عند النبط شكلا مستقيما يابسا وآخر يشبه النسخي معا مثل الباء والهاء والواو والدال والياء والكاف واللام والألف والميم والعين والقاف والصاد فلا شك أن العرب الحجازيين استعملوا الحروف في شكليها معا[٤٠].

رسائل النبي صلى الله عليه وسلم وكتابات على أوراق البردي عن عصر الخلفاء الراشدين هي أقرب للخط المدور منه إلى الخط اليابس فأخذ صلاح الدين المنجد منها ثلاثة نتائج[٤١].

(١) أن الخط القريب المستدير أو اللين كان في المدينة مع الخط اليابس.

(٢) أن الخط اليابس واللين وصلا إلى عرب الحجاز من الكتابة النبطية المتطورة وأنهما مضيا في طريق التطور حتى اشتقت منها أنواع وظهرت منها طرائق أخرى.

(٣) ينبغي لنا أن نفهم من الخط الكوفي أنه الخط اليابس وحده كما هو شائع، فهذا المفهوم ينافي الدراسات العلمية الحديثة التي قام بها كانتينيو CANTINEAU والنتائج التي وصل إليها.

فلا تصح عندنا نظرية بلا شير ريجس BLACHERE REGIS أن الكتابة العادية السريعة هي التي تطورت في مصر والتي ظلت بعيدة عن التأثيرات السريانية محتفظة بحرية مظهرها وتبدو كأنها الوريثة الوحيدة للأنباط[٤٢].

وليس كما قال هذا المستشرق أن الخط المدوّر تطور في مصر خلال الفتوح الإسلامية. بل لا شك أن هذه الكتابة المدورة قد نقلها الصحابة القادمون من الحجاز إلى مصر، ورسائل الأمراء والكتابات العامة العادية كانت تكتب في هذا الخط المستدير السريع الخط اليابس الذي امتاز من بعد بالخط الكوفي اختص بكتابة المصاحف وتزيين المباني والمسلات، وما زالت المصاحف تكتب بالخط الكوفي بقرون عديدة حتى جاء ابن البوّاب فروّج كتابة المصاحف بالخط النسخي[٤٣].

كان خلفاء بني أمية يكتبون رسائلهم في القلم الجليل والطومار إلا عمر بن عبدالعزيز فإنه كان يكره استعمال الطوامير فكانت كتبه إنما هي شبرا أو نحوه[٤٤].

كان مالك بن دينار المتوفى سنة ١٣٠هـ ومطر من النساخ المشهورين في العصر الأموي، وكانا يكتبان المصاحف ويأخذان الأجرة على كتابة المصاحف. قال مالك بن دينار: دخل عليّ جابر بن زيد (أبو الشعثاء) وأنا أكتب المصحف قال لي: مالك صنعة إلا أن تنقل كتاب الله من ورقة إلى ورقة هذا والله كسب الحلال هذا والله كسب الحلال. وكان مالك ومطر يكتبان المصاحف ولا يشارطان فما أعطيا من شيء قبلاه[٤٥].

وأول من كتب المصاحف في الصدر الأول ويوصف بحسن الخط خالد بن أبي الهياج وكان يكتب المصاحف والشعر والأخبار للوليد بن عبد الملك وهو الذي

كتب الكتاب في قبلة مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالذهب وقال ابن النديم: إنه رأى مصحفا بخطه.

وكان شعيب بن أبي حمزة الأموي مولاهم من الكتاب المشهورين بأناقة الخط في العصر الأموي، وكان يعدّ من فحول رواة الحديث أيضا. وكان يكتب الحديث عن الزهري لهشام بن عبد الملك، وكان أثبت الناس في الزهري، وكانت له كتب جمع فيها أحاديث الزهري المتوفى سنة ١٢٥هـ. وكان من شيوخ البخاري بواسطة وبقيت كتب شعيب بن أبي حمزة إلى القرن الثالث ورآها الإمام أحمد بن حنبل[٤٧].

وقد نقل البخاري في الجامع الصحيح جميع الأحاديث المتصلة من كتب شعيب. قدم لنا صلاح لدين المنجد نماذج لبعض المصاحف التي نسخها حديج بن معاوية[٤٨] المتوفى سنة ١٧٠هـ وخطه أقرب إلى الخط المدور النسخي منه إلى الكوفي[٤٩]. وكان أبو علي محمد بن علي ابن مقلة المتوفى سنة ٣٢٥هـ وأخوه أبو عبد الله الحسن بن علي بن مقلة المتوفى سنة ٣٣٨هـ من الكتاب المشهورين في العهد العباسي. وهذان الرجلان لم ير مثلهما في الماضي وعلى خط أبيهما كتبا ورأى ابن النديم مصحفا بخط ابن مقلة[٥٠].

وقد انتهت جودة الخط النسخي وحسنه إلى ابن مقلة وقد ترك آثار الهندسة الرائعة في أصول الحروب وبها أخذ الخط نصيبه الأول من الهندسة والضبط والوزن وقدر مقياس الحروف المفردة بحرف الألف. وأول من بلغ بالثلث والنسخ هذا المبلغ من الكمال هو ابن مقلة[٥١] ولم يوجد في المتقدمين ولا في المتأخرين من كاتب مثله ولا قاربة[٥٢]..

وقد أتقن ابن مقلة الخط النسخي وروّجه ثم جاء بعد ابن مقلة ابن البواب

وهو أبو الحسن علي بن هلال، وهو الذي بلغ بالخط النسخي منتهى الحسن والجودة والإتقان ونسب إليه ابن الغوطي المعجزات في حسن خطه[٥٣].

قال أبو حيان التوحيدي: فرأى ابني مقلة أنهما قد أتقنا قلمي التوقيعات والنسخ ولكن لم يرسخا رحمهما الله إتقانهما ذلك الرسخ فكمل معناهما[٥٤].

قال ابن كثير في خط ابن البواب: أما خطه وطريقته فيه فأشهر من أن أنبه عليها وخطه أوضح تعريبا من خط ابن مقلة ولم يكن بعد ابن مقلة أكتب منه وعلى طريقته الناس اليوم في سائر الأقاليم إلا القليل[٥٥].

وأول من كتب المصحف بالنسخ هو ابن البواب وكان قد نسخ المصحف أربعة وستين مره[٥٦]. ويوجد مصحف بخطه بمكتبة جستر بيتي بدبلن[٥٧].

CHESTER BEATTY LIBRARY OF THE UNIVERSITY OF DUBLIN IRELAND

وهذا المصحف الفريد هو أقدم المصاحف كتبت بالخط النسخي ثم شاع الخط في سائر الأقليم الإسلامية.

مراجع البحث

[١] ابن خلدون ـ مقدمة ابـن خلـدون ـ المطبعة الادبية طبعة ١٩٠٠، (ص/٢٧)

[٢] ابن النديم ـ الفهرست ـ المطبعة التجارية الكبرى بمصر ١٣٤٨هـ (ص/٦)

[٣] القلقشـندي أبـو العبـاس أحمـد، صبـح الأعشى، دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية، ١٣٤٦هـ / ١٩٢٨م، (٨:٣)
وجلال الدين السيوطي، المزهرفي علوم اللغة وأنواعها، مكتبة محمد على بمصر ـ طبعة قديمة، بدون تاريخ (٢:٢١٤،٢:٢١٩)

[٤] المزهر (٣:٢١٥)

[٥] مقدمة ابن خلدون (ص/٤١٨)

[٦] البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر البغدادى، فتوح البلدان ـ دار الكتب العلمية بيروت ـ ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م (ص٤٥٦)

[٧] نفس المرجع

[٨] نفس المرجع

[٩] الدكتور صلاح الدين المنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي ـ دار الكتاب الجديد بيروت ١٩٧١م (ص/١٣)

[١٠] المزهر (١:١٤٨)

[١١] الدكتور ريجس بلاشير المستشرق، تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) دار الفكر بدمشق، تعريب الدكتـور إبراهيـم الكيلانـى (ص/٧١)

[١٢] دراسات في تاريخ الخط العربي (ص/١٣)

[١٤] نفـــس المرجـــع و، Encyclopedia Britanica, (Nahataeans)

[١٥] أحمد بن علـي بـن حجـر العسـقلاني، فتـح البـاري بشـرح صحيـح البخـاري تحقيـق عبدالعزيز عبد الله بن باز، دار نشـر الكتـب الإسلامية بلاهور، طبعة ١٤٠١هـ/١٩٨١م (١١٥:٨)

[١٦] دراسات في تاريخ الخط العربي (ص/١٩)

[١٧] نفس المرجع،

[١٨] نفس المرجع (ص/٢٥)

[١٩] نفس المرجع (ص/٢٦)

[٢٠] نفس المرجع (ص/٥١)

[٢١] أبو بكر عبد الله بـن أبـى داؤد سـليمان بـن أشعث، كتاب المصاحف ـ صححه الدكتور آثر جعفرى، المطبعة الرحمانية بمصر ـ الطبعـة الأولى ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م (ص/١٠٨)

[٢٢] الفهرست، (ص/٧)

[٢٣] أحمد حسن الزيـات، تـاريخ الأدب العربـي مطبعـة الرسـالة ـــ الطبعـة الحاديـة عشـرة (ص/٢١)

[٢٤] أبو محمـد عبـد الملـك بـن هشـام بـن ايـوب الحميري، السـيرة النبويـة. تحقيـق مصطفـى

السقاء، عبد الحفيظ الشبلى، مصطفى البابي الحبلي،١٣٥٥ هـ/١٩٣٦م (٢١٩:١)

[٢٥] فتوح البلدان (ص/ ٤٥٧)

[٢٦] ناجى، زين الدين المصرف، بدائع الخط العربي (ص/٣٢)

[٢٧] فتح البارى (٢٥:١)

[٢٨] كتاب المصاحف (ص/٣) وفتوح البلدان (ص/٤٥٨)

[٢٩] فتوح البلدان (ص/٤٥٩)

[٣٠] ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة ـ مطبعة السعادة بمصر طبعة ١٣٢٨هـ (٥٦١:١)

[٣١] الإمام أحمد بن حنبل، المسند: المكتب الإسلامى ـ طبعة مصورة من الطبعة الميمنية ١٣١٣رقم حديث ٢٢١٦

[٣٢] دراسات في تاريخ الخط العربى، ص/٤٣

[٣٣] صبح الأعشى (١٤٧:٣)

[٣٤] نفس المرجع

[٣٥] دراسات في تاريخ الخط العربى، ص/٤٣

[٣٦] نفس المرجع

[٣٧] نفس المرجع

[٣٨] صبح الأعشى (١١:٣)

[٣٩] نفس المرجع

[٤٠] دراسات في تاريخ الخط العربى، ص/٧٩

[٤١] نفس المرجع

[٤٢] تاريخ الأدب العربي (الزيات) ص/٧٥

[٤٣] نفس المرجع

[٤٤] دراسات في تاريخ الخط العربى، ص/٨٣

[٤٥] كتاب المصاحف ـ ص/١٣١-١٣٢

[٤٦] الفهرست ص/٩

[٤٧] درسات في تاريخ الخط العربى، ص/٨٣

[٤٨] صفى الدين أحمد بن عبد الله الخزرجى، خلاصة تذهيب تهذيب الكمال، تحقيق محمد عبد الوهاب فائد المكتبة الأثرية سانكلاهل، باكستان، بدون تاريخ، (٣٦٨:١)

[٤٩] دراسات في تاريخ الخط العربى، ص/٨٣

[٥٠] الفهرست ص/١٤

[٥١] بدائع الخط العربى، ص/٢٥

[٥٢] ابن خلكان وفيات الاعيان ٢٨/٢

[٥٣] بدائع الخط العربى، ص/٣٥

[٥٤] نفس المرجع

[٥٥] أبو الفداء أسماعيل بن عمر قريشى، البداية والنهاية، المكتبة القدسية لاهور، باكستان (١٣:١٢)

[٥٦] The cultural Atlas of Islam. p.357

[٥٧] نفس المرجع